

تكتب أحيانا كثيرة بالدم قبل أن يكتشفها مسجلة في كتاب ثوري . ولئن كان هذا ليس في حد ذاته ميزة تحسد عليها الثورة الفلسطينية ، إلا أنه كان أحد مداخل الوعي السياسي وأشدّها عمقا وتأثيرا ، فليس كالتجربة العملية تصقل الوعي ، فكيف بها إذا كانت تجربة مخضبة بالدم .

هذه الظروف القاسية التي وجدت الثورة نفسها في تعامل مباشر معها ، أتاحت للثورة فرصة التزود بالوعي وتحديد مواقفها الحاسمة بالنسبة للتحالفات وتمييز الأصدقاء ، ونقلت الثورة نقلة نوعية الى حد تجاوزت معه في بعض المجالات ، المستوى الذي بلغته حركة التحرر العربية نفسها .

ان الثورة الفلسطينية التي قامت في الاساس من أجل عودة شعبها الى وطنه وتقرير مصيره عليه ، قد تخطت بفضل طابعها القومي كجزء من حركة التحرر العربية ، مجال اختصاصها الاساسي ، وأخذت تؤثر تأثيرا مباشرا في تطور الحركة العربية في المجالين الوطني والاجتماعي . وقد يبدو غريبا أن يعزى لثورة قومية ، كل همها عودة شعبها لوطنه ، شرف التأثير في دفع عجلة التطور الاجتماعي والاقتصادي للشعوب العربية ، ولكن الحقيقة أن الاهداف الوطنية والاجتماعية في الثورة الوطنية الديمقراطية ، أهداف متداخلة يصعب الفصل بينها . والثورة الفلسطينية حتى وهي تناضل من أجل الارض بشكل أساسي ليست بعيدة بالدرجة التي يتصورها البعض عن الأفكار والاهداف الاجتماعية ، وعلى رغم أن هذه الاهداف لم تتبلور بعد في تفاصيلها لأنها سابقة لاوانها ، إلا أن خطوطها العريضة ماثلة في فكر المقاومة .

ان الثورة الفلسطينية بفعل هذا الارتباط النضالي بين الوطني والاجتماعي ، وبفعل موقعها المتحيز — ولا أقول الطليعي — في حركة التحرر الوطني العربية ، تشكل في الساحة العربية أداة تغيير ثوري وعنصرا فعلا من عناصر التأثير على خط سير التطور اللاحق في العالم العربي . ومن هنا تتخطى الثورة الفلسطينية مجال اختصاصها المباشر ، وتتجاوز حتى حجمها العسكري او التنظيمي ، وتصبح دائرة فعلها الساحة العربية كلها ، ومقياس قوتها الأثر البالغ الشدة الذي تتركه في هذه الساحة .

واليوم ، والثورة الفلسطينية على هذا القدر من القوة ، فانها استطاعت ان تفك من حولها الكثير من قيود الوصاية العربية ، لتنتقل في المجال الرحب وتحمل موقعها الطبيعي في صفوف الثورة العالمية . فلقد كان من غير الطبيعي ان تبقى الثورة بعيدة عن حلفائها ومحكومة لعلاقتها بهم عبر بعض الانظمة ، مهما علا شأن هذه الانظمة وخلصت نواياها .

لقد كان محتوما للثورتين الفلسطينية والاشتراكية ان تلتقيا ، وان تطورا علاقتهما الى المدى الذي يصح تسميتهما بالتحالف الابدي . فالثورة الاشتراكية انطلاقا من طبيعتها ومبادئها الاممية تشكل قاعدة ثابتة لدعم نضالات الشعوب ولجم التطاولات عليها . والاتحاد السوفياتي وليد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، أعلن منذ قيامه التزامه بهذا الدعم الذي يتفق لامع مبادئ الاشتراكية فحسب ، بل ومع مصالحها كذلك .

والى جانب المبادئ الاممية والطبيعة الاشتراكية التي يستلهم منها الاتحاد السوفياتي سلوكه وتوجهاته في المجالين الداخلي والخارجي ، فانه ينطلق في دعمه الثابت للثورة الفلسطينية من مبدأ العداء للامبريالية والصهيونية ، العدوين المباشرين في الوقت نفسه للثورة الفلسطينية .

ان مكونات الثورة العالمية في عصرنا الحالي ثلاثة : الثورة الاشتراكية ، والحركة